الهدايات القرآنية

من قوله تعالى:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

(آل عمران: ١٩٠ – ١٩١).

د. خالد حسن علي جياش

أستاذ القراءات وعلوم القرآن بأكاديمية القراء

الخرطوم – شرق النيل – حي النصر.

ملخص البحث

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، وبعد:

إن الهدايات القرآنية هي المقصد الأول والأعظم من نزول القرآن الكريم، فالقرآن الكريم إنما نزل هدىً للناس، هداية بيان ودلالة وإرشاد، وتعتبر الهدايات القرآنية نوراً ورحمة، وشفاء وبركة، وموعظة وذكرى...ففيها كل الخصائص التي تحيي بها القلوب والنفوس، وتستنير ببصائرها العقول والأرواح.وقد تضمن هذا البحث استنباط الهدايات القرآنية في قول الله تعالى:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾(آل عمران: ١٩٠ – ١٩١).وقد استخدمت المنهج الاستقرائي الاستنباطي الوصفي، لاستخراج المعاني والهدايات والارشادات من النصوص بعد دراستها وتحليلها.

وسيدور الحديث في هذه الدراسة حولثلاثة مباحث: المبحث الأول: معاني مفردات الآيات. وأمّا المبحث الثاني فاستنبط الباحث فيه: الهدايات الخاصة بالآيات، وانتهى بالمبحث الثالث الذي تكلم فيه الباحث عن: سبل تحقيق هدايات الآيات في واقع الأمة، ومن خلال البحث والتحليل والدراسة، توصل الباحث إلى عدة نتائج أوردها في نهاية البحث، كان من أهمها:

- أن لهتين الآيتين فضائل عظيمة ومن أبرزها: أنَّهما ضمن سورة آل عمران، وقد ورد في فضائل هذه السورة أنّها تُحاجج عن أصحابها، وقد كان نبينا محمد – ﷺ -يقرؤهما إذا استيقظ

من نومه، ويرفع بصره إلى السماء، وورد عنه – عليه الصلاة والسلام– أنه قال (ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها).

– أنَّ هذه الآيات تبيِّن أنَّ هذا الكون كتاب مفتوح ، يحمل بذاته دلائل الإيمان وآياته ، ويوحي بأن وراء هذه الحياة الدنيا حياة أخرى وحساباً وجزاءً . وبهذا فإنَّ هذه الآيات تلفت القلوب إلى المنهج الصحيح ، في التعامل مع الكون ، وفي التخاطب معه بلغته ، والتجاوب مع فطرته وحقيقته ، والانطباع بإشاراته وإيحاءاته.

المقدمة:

إنَّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،وأن محمداً عبده ورسوله ،أمّابعد:

فهذا بحث يتضمن استنباط الهدايات القرآنية في قول الله تعالى:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾(آل عمران: ١٩٠ – ١٩١).

وقد بذلت قصارى جهدي في استنباط تلك الهدايات، وحاولت أن أطلع على أكبر قدر ممكن من كتب التفسير وعلوم القرآن، وكتب مناهج التربية الإسلامية، وغيرها من الكتب في المجالات المختلفة، في محاولة لربط هذه الهدايات بالواقع المعاصر ، ليكون فيها الفائدة لكل من يطلع عليها، وكل أملي أن يوفقني الله تعالى لمواصلة البحث والدراسة في مجال الهدايات القرآنية، خاصة وأنَّ هذا العلم من العلوم المهمة التي تربط الناس بكتاب الله تعالى،

وتنقلهم نقلة نوعية إلى ترجمة الآيات القرآنية إلى واقع معاش وملموس في واقع الحياة، وهذا هو ما تحتاجه الأمة اليوم.

ولقد حاولت أن أختصر وراعيت عدم الإخلال بالمعلومات المهمة في إطار هذا البحث.

أسأل الله أن يجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته، وأن يستعملنا لخدمة كتابه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الدراسات السابقة:

كتابات العلماء حول الهدايات القرآنية كثيرة ومتنوعة، ولاسيما ما جاء في كتب التفسير وأحكام القرآن، ومن أهم الدراسات القريبة من هذا البحث:

- هدايات الوصايا العشر من سورة الأنعام وأثرها في سعادة الإنسان، للدكتور/ أحمد عطا محمد عمر، المدرس بجامعة أم القرى – مكة المكرمة-، بحث مقدم للمؤتمر القرآني الدولي السنوي، نظمه مركز بحوث القرآن الكريم بجامعة ملايا، بالشراكة مع كرسي الملك عبد الله بن عبد العزيز للقرآن الكريم بجامعة أم القرآن ٢٠١٨م.

- هدايات سورة الماعون، لسعيد بن محمد آل ثابت، نشر البحث شبكة الألوكة alukah.net .ww.

- من هدايات سورة الفاتحة، لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، نشر في موقع archive.org

- الهدايات القرآنية دراسة تطبيقية في مقدمة سورة الكهف وقصة أصحاب الكهف، الآيات (١-٢٦)، للدكتور/ سيف بن منصور الحارثي، بحث مقدم للمؤتمر القرآني الدولي السنوي،

نظمه مركز بحوث القرآن الكريم بجامعة ملايا، بالشراكة مع كرسي الملك عبد الله بن عبد العزيز للقرآن الكريم بجامعة أم القرى ٢٠١٨م.

- الهدايات القرآنية - دراسة تأصيلية-، إعداد الفريق البحثي (أ.د. طه عابدين طه حمد – د. ياسين بن حافظ قاري – فخر الدين الزبير علي، جامعة أم القرى – كرسي الملك عبد الله بن عبد العزيز للقرآن الكريم.

سبب كتابة الموضوع:

بما أن القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه، ولاحتياج الأمة لتجديد علاقتها مع الوحي القرآني، كان لابد من خدمة الأمة في تسهيل فهمها لكتاب ربها، وذلك من خلال استنباط الهديات القرآنية من بين ثنايا آياته البينات، لذا جاءت فكرة هذا البحث.

مشكلة البحث:

تتجلى مشكلة البحث في فكرة محورية، وهي استنباط الهدايات القرآنية من هاتين الآيتين المختارتين، وذلك لإيضاح وبيان الحلول التي جاء بها القرآن الكريم في مناحي الحياة المختلفة.

أهداف الدراسة:

تحاول هذه الدراسة:

أ- بيان الهدايات التي رسمتها هاتين الآيتين، من خلال المفردات والجمل والتراكيب والمناسبات الواردة فيها.

ب- عرض تلك الهدايات والمعاني بصورة علمية دقيقة وواضحة تتناسب مع عظمة القرآن ومكانة الآيات.

ج- بيان أثر التطبيق العملي لهذه الهدايات في واقع الحياة.

منهج الدراسة:

استخدم الباحث في هذا البحث المنهج الاستقرائي الاستنباطي الوصفي، لاستخراج المعاني والهدايات والارشادات من النصوص بعد دراستها وتحليلها.

خطة الدراسة:

تضمنت الدراسة مقدمة، وثلاثة مباحث وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: وتتضمنالدراسات السابقة، ومشكلة الدراسة، وأهداف الدراسة، ومنهج الدراسة، وخطة الدراسة.

المبحث الأول: معاني مفردات الآيات.

المبحث الثاني: الهدايات الخاصة بالآيات.

المبحث الثالث: سبل تحقيق هدايات الآيات في واقع الأمة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث.

- **المبحث الأول: معاني مفردات الآيات**

أولاً:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الخلق: التقدير والترتيب الدالّ على النظام والإتقان ،والخالق ، في صفاته تعالى: المبدع للشيء ، المخترع على غير مثال سبق[1]، والسموات: جمع سماء، والسماء: كلما علاك فأظلك ، ومنه قيل لسقف البيت: سماء ، والسماء: المطر ، يقال : مازلنا نطأ السماء حتى أتيناكم [2] ، والأرض اسم جنس مؤنث، كلما سفل فهو أرض[3]، وهي : ما تعيش عليه [4]، فيكون المعنى الإجمالي لجزء هذه الآية: إنَّ في ارتفاع السماء واتساعها ، وفي انخفاض الأرض وكثافتها و اتضاعها وما فيهما من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب سيارات ، وثوابت وبحار ، وجبال وقفار وأشجار ونبات وزروع وثمار،وحيوان ومعادن ومنافع ،مختلفة الألوان والطعوم والروائح والخواص[5].

(١) ينظر: القاموسالمحيط (ص: ٨٨٠)،لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، ن: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – –بنان، ط٨، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، تفسيرالمراغي (٤/ ١٦٠)، لأحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١ هـ)، ن: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر، ط١، ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٦/ ٢٣٨٢)،لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ن: دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للفارابي (٣/ ١٠٦٣ – ١٠٦٤).

(٤) تفسير المراغي (٤/ ١٦٠).

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير تسلامة (٢/ ١٨٤)،لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، ن: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

ثانياً:﴿ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾اختلاف الليل والنهار: تعاقبهما ومجيء كل منهما خلف الآخر[1]، فيكون المعنى الإجمالي "أي: تعاقبهما وتقارضهما الطول والقصر ، فتارةً يطول هذا ويقصر هذا ، ثم يعتدلان ،ثمَّ يأخذ هذا من هذا في طول الذي كان قصيراً ،ويقصر الذي كان طويلاً وكلُّ ذلك تقدير العزيز الحكيم"[2]

ثالثاً:﴿ لَأٓيَٰتٖ ﴾ الآية: العلامة، وسميت الآية آية لأنها جماعة من حروف القرآن، وقيل: سميت الآية من القرآن آية لأنها علامة لانقطاع كلام من كلام[3]،وآيات الله عجائبه الدالة على وجود الله وقدرته[4].

رابعاً:﴿ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ واحدها لب: وهو العقل ،يعني أهل اللب والعقل ، و أولو الألباب هم الذين صحت عقولهم عن سكر الغفلة، وخلصت عن شوائب النقص، وهم الذين يأخذون من كل قشرٍ لبابه ، ويطلبون من ظاهر الحديث سره، وهي العقول التامة الذكية الصحيحة التي تدرك الأشياء بحقائقها على جلياتها ،وليسوا كالصم البكم الذين لا يعقلون[5].

---

(١) تفسير المراغي (٤/ ١٦٠- ١٦١).

(٢) تفسير ابن كثير تسلامة (٢/ ١٨٤).

(٣) لسان العرب (١٤/ ٦٢)، لمحمد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، ن: دار صادر – بيروت، ط٣، - ١٤١٤هـ.

(٤) تفسير المراغي (٤/ ١٦١).

(٥) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٣٢١)، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان البلخى (ت: ١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمودشحاته، ن: دار إحياء التراث - بيروت ط،١ ١٤٢٣ هـ، تفسير القشيري المسمى بـ لطائف الإشارات (١/

خامساً:﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ ﴾[1]في موضع خفض على النعت لأولي الألباب(٢)، قال ابن فارس: الفكرة: تردد القلب في الشيء،يقال: تفكر، ورجل فكير: كثير الفكر[3]، والمقصود به هنا – والله أعلم–الذكر الكثير فقد استغرق الذكر جميع أوقاتهم، وهو الذي ذكره الله– عز وجل– في قوله:﴿ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾[4]،[5].

سادساً:﴿ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا ﴾[6]واحدهما قائم وقاعد ، ونصب على الحال. ﴿ وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾ في موضع حال أي مضطجعين[1]،يعني بذلك: قياماً في صلاتهم ، وقعوداً في تشهدهم وفي غير

---

٣٠٤)، لعبد الكريم بن هوازن القشيري (ت: ٤٦٥هـ) ، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ن: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط٣.تفسير ابن كثير تسلامة (٢/ ١٨٤)،التعريفات (ص: ٣٥)،لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، ن: دار الكتاب العربي – بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (١/ ٤٧٠)،لمحمد بن علي الشوكاني، د. ط، د.ت.تفسيرالمراغي (٤/ ١٦١).

(١) سورة آل عمران، آية (١٩١).

(٢)إعراب القرآن (١/ ١٩٣)، لأبي جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد (ت: ٣٣٨هـ)،وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم،ن: منشورات محمد بيضون،دار الكتب العلمية ،بيروت،ط١، ١٤٢١هـ.

(٣) مجمل اللغة (ص: ٧٠٤)،لابن فارس، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهيرعبد المحسن سلطان، ن: مؤسسة الرسالة – بيروت،ط٢، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م..

(٤) سورة الأحزاب، آية (٤١).

(٥) ينظر: بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، لأبي بكر محمد بن أبي إسحاق الكلاباذي البخاري (ت: ٣٨٠هـ)تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل – أحمد فريد المزيدي، ن: دارالكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، تفسير القشيري، المسمى بـ لطائف الإشارات (١/ ٣٠٤).

(٦) سورة آل عمران، آية (١٩١).

صلاتهم ، وعلى جنوبهم نياماً مضطجعين، وقال ابن جريج: هو ذكر الله تعالى في الصلاة وغيرها وقراءة القرآن. وقيل المعنى: أراد به المداومة على الذكر في عموم الأحوال لأن الإنسان قلما يخلو من إحدى هذه الحالات الثلاث[٢]، ويرى الباحث أنَّ هذا القول هو الراجح لعموم الآية.

سابعاً: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٣]أي: في عظمة الله فيستدلون به على وحدانيته[٤].

ثامناً: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا ﴾ [١]باطلاً أي :عبثاً لا فائدة منه[٣]،أي: يقولون ربنا على النداء، [٣]، قال الزجاج: معناه: يقولون: ربناما خَلَقْتَ هذاب اطِلًا أي: خلقته دليلاً عليك،وعلى صدق ما أتت به أنبياؤك[٤].

---

(١)إعراب القرآن للنحاس (١/ ١٩٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري المسمى بـجامع البيان في تأويل القرآن(٧/ ٤٧٤)، لمحمد بن جرير،أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ن: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ،وأحكامه ،وجمل من فنون علومه (٢/ ١٢٠٢)، لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش القيسي(ت:٤٣٧هـ)، تحقيق : الشاهد البوشيخي ،ن:مجموعة بحوث الكتاب والسنة – جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.تفسير ابن عطية المسمى بـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٤٥٥)، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ن: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ، تفسير البغوي المسمى بـ معالم التنزيل في تفسير القرآن (١/ ٥٥٦)، لأبي محمدالحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ)، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، ن: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ.

(٣) سورة آل عمران، آية (١٩١).

(٤) الهداية الى بلوغ النهاية ، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (٢/ ١٢٠٢).

تاسعاً: ﴿ سُبۡحَٰنَكَ ﴾: هو للتنزيه عن كل سوء، ومعناه أي: تنزيهاً لك عما لا يليق بك من أن تكون خلقتهما باطلاً[٥]

عاشراً: ﴿ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾: أي اجعل العمل الصالح وقايةً لنا من عذاب النار[٦]، فقد صدَّقْنا أنّ لك جنّةً وناراً [٧].

المبحث الثاني: الهدايات الخاصة بالآيات

لقد جمع الباحث هذه الهدايات مما ذكره أئمة التفسير في كتبهم، وزاد عليها بما يسره الله وفتح عليه، وبالله استعين وعليه أتوكل، وباسم الله أبدأ:

(١) سورة آل عمران، آية (١٩١).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٣٢١)، تفسير المراغي (٤/ ١٦١)، تفسير السمعاني المسمى بـ تفسير القرآن (١/ ٣٨٨)، لأبي المظفر،منصور بن محمد السمعاني (ت: ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، ن: دار الوطن،الرياض – السعودية، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

(٣) انظر: تفسير ابن عطية (١/ ٥٥٥)، تفسير المراغي (٤/ ١٦١).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٩٩)، لإبراهيم بن السري ،أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، تحيقق: عبد الجليل عبده شلبي، ن: عالم الكتب – بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

(٥) انظر: زاد المسير في علم التفسير (١/ ٣٦١)، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحيقق: عبد الرزاق المهدي، ن: دار الكتاب العربي – بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ، تفسير المراغي (٤/ ١٦١).

(٦) تفسير المراغي (٤/ ١٦١).

(٧) زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبو الفرج الجوزي (١/ ٣٦١).

أولاً: الهدايات القرآنية في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾.

١- إنَّ أفعال الله سبحانه وتعالى في السماوات والأرض تدل على عظمة خالقها؟! فعظم آثار الله سبحانه وتعالى وأفعاله تدل على عظمته سبحانه.

٢- يستفاد من تقدي مخلق السموات والأرض على اختلاف الليل والنهار أنَّ الأخير يدخل ضمن خلق السموات والأرض.

٣- وفي قوله تعالى: إن في خلق السموات ... خصص التفكر بالخلق للنهي عن التفكر في الخالق لعدم الوصول إلى كنه ذاته وصفاته ؛ ولأنَّه تعالى ليس كمثله شيء ، وإنَّما التفكير وانبساط الذهن في المخلوقات ، وفي مخاوف الآخرة(١).

٤- يدل قوله تعالى: إن في خلق السموات ،على أنَّ القرآن يميل إلى اليُسر والسهولة وينأى عن التعقيد والصعوبة ، حيث أنَّ القرآن اختار مصدر الكون لسوق الأدلة، ولفت الأنظار، حيث تتجلى مظاهر القدرة الخلاقة العظيمة ، قُدرة الله الكبير المتعال(٢).

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (١/ ٥٥٥)، حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي ،المُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي (٣/ ٨٨)، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ) دار النشر: دار صادر - بيروت.

(٢) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (١/ ٤٥٦)، لعبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: ١٤٢٩هـ)، ن: مكتبة وهبة، ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م.

٥- في قوله تعالى: إنَّ في خلق السموات إثبات للبعث والنَّشور، فإنَّ الذي قدر على البدء ،كان – من باب أولى – قادراً على الإعادة، وبذلك تصبح مسألة البعث من أسهل مظاهر التكوين لأنها إعادة(١).

٦- عند التفكر في قوله تعالى: إن في خلق السموات يدلنا ذلك على أنَّ لهذا الكون حقيقة ، فهو ليس «عدماً» كما تقول بعض الفلسفات! وهو يسير وفق ناموس ،فليس متروكاً للفوضى. وهو يمضي لغاية، فليس متروكاً للمصادفة. وهو محكوم في وجوده وفي حركته وفي غايته بالحق لا يتلبس به الباطل(٢).

٧- دلَّ قوله تعالى: إن في خلق ... على أنَّ الب حث الذي يؤدي إلى معرفة حقائق الموجودات التي تتضمن معرفة اللهُ تعالى هو من العلوم الشريفة(٣).

ثانياً: الهدايات القرآنية في قوله تعالى: ﴿ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾.

١- في قوله تعالى:﴿ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾دلالة على البعث؛لأنَّ الليل والنهار يَفنيان حتى لا يبقى من الليل أثر حتى يجيء النهار ، فيذهب النهار أيضاً حتى لا يبقى من النهار أثر ، فيجيء آخر ، لا يزال ان كذلك ، فإذا كان قادرًا على خلق الليل وإنشائه من غير أثر بقي من

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، لعبد العظيم المطعني (١/ ٤٥٧).

(٢) في ظلال القرآن (١/ ٥٤٦)، لسيد قطب إبراهيم الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، ن: دار الشروق - بيروت- القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ.

(٣) الذريعة الى مكارم الشريعة (ص: ١٥٥)، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي دار النشر: دار السلام - القاهرة عام النشر: ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .

النهار ؛ وكذلك قادر على إنشاء النهار من غير أن بقي من الليل أثر ظلام – لقادر على أن ينشئ الخلق ثانياً ويحييهم ، وإن فَنوا وهلكوا ولم يبق منهم أثر[1].

ثالثاً: الهدايات القرآنية في قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا ﴾.

١- يستفاد من قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ ... ﴾أن يكون الإنسان دائم الذكر لربه ،فإن الأحوال ليست إل اهذه الثلاثة ، ثم لما وصفهم بكونهم ذاكرين فيها كان ذلك دليلاً على كونهم مواظبين على الذكر غير فاترين عنه البتة[2].

٢- وذكر الإمام الرازي فائدة لطيفة من قوله تعالى: وعلى جنوبهم حيث قال: "واعلم أنَّ فيه دقيقة طبية وهو أنه ثبت في المباحث الطبية أن كون الإنسان مستلقياً على قفاه يمنع من استكمال الفكر والتدبر ، وأمّا كونه مضطجعاً على الجنب فإنه غير مانع منه ، وهذا المقام يراد فيه التدبرو التفكر ، ولأن الاضطجاع على الجنب يمنع من النوم المغرق،فكان هذ االوضع أولى،لكونه أقرب إلى اليقظة، وإلى الاشتغال بالذكر"[3].

(١) تفسير الماتريدي(تأويلات أهل السنة) (٢/ ٥٦٠)،لمحمد بن محمد بن محمود ،أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، تحقيق:د. مجدي باسلوم، ن: دار الكتب العلمية – بيروت ،لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

(٢) تفسيرالرازي المسمى بـ مفاتيح الغيب = التفسير الكبير (٩/ ٤٥٩)، لأبي عبدالله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، ن: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ.

(٣) تفسير الرازي (٩/ ٤٦٠)،.

٣- ومن الهدايات القرآنية في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا ﴾ ما قاله الغزالي: "ونهاية ثمرة الدين في الدنيا تحصيل معرفة الله ، وتحصيل الأنسب ذكر الله تعالى ، والأنس يحصل بدوام الذكر ، والمعرفة تحصل بدوام الفكر"(١).

٤- في تقديم الذكر على الفكر في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا ﴾ تنبيه بأنَّ العقل غير مستقل بإفادة الاحكام الحقة مالم يستضيء بنور الذكر والهداية من الله سبحانه(٢).

٥- ويستفاد من قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا ﴾ أنَّ المراد تعميم الذكر للأوقات ، وعدم الغفلة عنه تعالى. وتخصيص الأحوال المذكورة بالذكر ، ليس لتخصيص الذكر بها ، بل لأنها الأحوال المعهودة التي لا يخلو عنها الإنسان غالباً(٣).

٦- وقدأشارت الآيات إلى أنَّ القلوب لا تصفو و لا تصقل ولا تتطهر و لا تتجلى إلا بذكر الله سبحانه وتعالى ؛ وذلك لما عقب ذكره لأولي الألباب بقوله:﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا ﴾.

(١) إحياء علوم الدين (٢/ ٢٥٠)، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي(ت:٥٠٥هـ)،ن: دار المعرفة – بيروت.

(٢) التفسير المظهري (٢ ق ١/ ٢٠٠)، للمظهري،محمد ثناء الله، تحقيق: غلام نبي التونسي، ن: مكتبة الرشدية – الباكستان،١٤١٢ هـ.

(٣) تفسيرالقاسمي (٢/ ٤٨٠)، لمحمد جمال الدين بن محمد القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ن: دار الكتب العلميه – بيروت، ط١٤١٨،١ هـ.

٧- المراد من قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾ تعميم الذكر للأوقات ، وعدم الغفلة عن ذكر الله سبحانه وتعالى في لحظة من اللحظات ولا في حال من الأحوال، بل المسلم يذكر الله- عز وجل-دائماً.

٨- إنَّ قراءة القرآن في حال القيام،أوالجلوس،أو الركوب، أوالاضطجاع، جائزة ولا حرج في ذلك ، ودليل ذلك قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾ وهذا على تفسير أنَّ الذكر هنا هو قراءة القرآن(١)، وقد كان النبي – ﷺ – يقرأ القرآن في حجر عائشة ،قالت رضي الله عنها: (كان يتكئ في حجري وأنا حائض ، ثم يقرأ القرآن)(٢).

٩- وفي قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا ﴾دليل على وجوب المحافظة على الصلاة، وأنَّ على المؤمن ألاَّيضيعها بحال من الأحوال ،فيصليها قياماً مع عدم العذر،وقعوداً وعلى جنوبهم مع العذر، وقد روي عن الحسن البصري – رحمه الله تعالى- عند تفسيره لهذه الآية أنَّه قال: هذه رخصة من الله للمريض أن يصلي قاعداً وإن لم يستطع فعلى جنبه(٣)، وهذا الاستنباط يبنى على أساس أن معنى الذكر في الآية يعني: الصلاة.

---

(١) عظمة القرآن وتعظيم هو أثره في النفوس في ضوء الكتاب و السنة (ص: ٨٧)، للدكتور/ سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ن: مطبعة سفير ، الرياض توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان ،الرياض.

(٢) صحيح البخاري المسمى بـ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله- ﷺ - وسننه وأيامه، (١/ ٦٧)،لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ن: دار طوق النجاة ط١، ١٤٢٢هـ،باب قراءة الرجل في حجر امرأته وهي حائض ، برقم (٢٩٧).

(٣) أحكام القرآن (٢/ ٣٣٢)، لأحمد بن علي أبوبكر الرازي الجصاص (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السلام شاهين ، ن: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، فتح القدير للشوكاني (١/ ٤٧٠).

رابعاً: الهدايات القرآنية في قوله تعالى: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾.

١- إنَّ في هاتين الآيتين إرشادًا وبيانًا إلهيًّا إلى أهمية التأمُّل و التفكُّر ، و النَّظر و التدبُّر، قيل لأم الدرداء : ما كان أفضل عمل أبي الدرداء؟ قالت: التفكر[1].

و التفكر من أشرف الأعمال كما قال الإمام مالك- رحمه الله-: "وهو من أشرف الأعمال لأنه من أعمال القلوب التي هي أشرف الجوارح"[2].

٢- يستفاد من قوله تعالى: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾أنَّ التفكر الصحيح إنما يكون بعد تهذيب الروح وتطهير النفس من الرذائل وذكر اللهّ تعالى إنما يقوم بتلك الوظيفة ولذا قدمه عز وجل على التفكر في خلق السموات والأرض و هو يعد النفس لهذه الموهبة.

٣- ويستفاد أيضاً أنَّ التفكر السليم و المؤثر لا يكون إلاَّبعد الأعمال الصالحة، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا ﴾.

٤- إنَّ ذكر الله - تعالى – لا يكفي في الاهتداء إلى الآيات ، ولكن يشترط مع الذكر التفكر فيها ، فلا بد من الجمع بين الذكر، والفكر، فقد يذكر المؤمن ربه ،ولا يتفكر في بديع صنعه ،وأسرار خليقته[3]، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا ... ﴾.

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية،لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (٢/ ١٢٠٣).

(٢) البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة (١٧/ ٥٨١)، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت:٥٢٠هـ)، حققه: د.محمدحجي، ن: دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٣) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) (٤/ ٢٤٥)، لمحمد رشيد بن علي رضا (ت: ١٣٥٤هـ)، ن: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.

المبحث الثالث: سبل تحقيق هدايات الآيات في واقع الأمة

وعلى حسب ما تقدم من هدايات في الآيتين، فيمكن تحقيق هذه الهدايات على واقع الأمة من خلال جانبين:

الأول: الجانب الإيماني والروحاني:

١- إنَّ مجرد التفكر في ما قصه الله في هذه الآيات يكفي العاقل ، ويوصله إلى الإيمان الذي لا تزلزله الشبه ، ولا تدفعه التشكيكات[١]، وكم هي حاجة الأمة اليوم إلى الحفاظ على دينها وعقيدتها ضدَّ كل التيارات الفاسدة والهابطة التي تهدف إلى تشكيك الأمة بربها ورسولها وكتابها ومبادئها وسلفها الصالح.

٢- إنَّ عبادة الذكر لله والتفكر فيما خلق الله هي النعمة التي لا تفضلها نعمة ،واللذة التي لاتعلوها لذة; لأنها هي التي يهون معها كل كرب ،ويسهل معها كل صعب ، وتعظم معها كل نعمة ، وتتضاءل معها كل نقمة [٢]، بل كم هي حاجة الناس لمثل هذه المعاني لتعينهم في حياتهم ومعاشهم بل في الوصول إلى مرضاة الله.

٣- إنَّ التفكر والتدبر في كتاب الكون المفتوح ، وتتبع يد الله المبدعة ، وهي تحرك هذا الكون ، وتقلب صفحات هذا الكتاب.. هو من صميم العبادة والذكر ، ولو اتصلت العلوم الكونية ، بتذكر خالق هذا الكون ، والشعور بجلاله وفضله، لتحولت من فورهاإلى عبادة لخالق هذا الكون، ولاستقامة الحياة، ولكن الاتجاه المادي الكافر ، يقطع ما بين الكون وخالقه ، ويقطع

(١) فتح القدير للشوكاني (١/ ٤٧٠).

(٢) تفسير المنار، لمحمد رشيد بن علي رضا (٤/ ٢٤٥)، بتصرف يسير.

ما بين العلوم الكونية والحقيقة الأزلية الأبدية ومن هنا يتحول العلم- أجمل هبة من الله للإنسان- لعنة تطارد الإنسان، وتحيل حياته إلى قلق وجحيم ، وإلى خواء روحي يطارد الإنسان كالمارد الجبار![1].

٤- إنَّ آيات الله في الكون ، لا تتجلى على حقيقتها إلا للقلوب الذاكرة العابدة ، وأن هؤلاء الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم – وهم يتفكرون في خلق السماوات والأرض هم الذين تتفتح لبصائرهم الحقائق الكبرى المنطوية في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار[2]، وهذا فيه درس للأمة لتربي أبناءها على التعلق بالله وبرسوله وبكتابه، فلا تقدم ولا ازدهار ولا ابداع ولا تألق ولا اختراع إلا بتنوير هذا العقل بنور الإيمان والتقوى والذكر والفكر.

٥- إنَّ كل المظاهر الكونية مسخرة لخدمة الإنسان ومصلحته وحاجاته فوق هذه الأرض ، وسيجد فيها- بمقدار ما يتسع له إدراكه وعلمه- دواءً لمصائبه وحلّاً لمشكلاته وفائدةً لحياته. ومن ثم فإنَّ على الإنسان أن يقبل على الكون تفهماً له واستفادةً منه[3].

٦- إنَّ جملة ما يقرره القرآن عن الكون أنَّه خادم أمين مسخّر للإنسان ، وأنّ على للإنسان أن يستفيد منه ويستخدمه لصالحه في المعاش الدنيوي والمعاد الأخروي[1].

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب(١/ ٥٤٥).

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب (١/ ٥٤٥).

(٣) من روائع القرآن – تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل(ص: ٢٢٤)، لمحّمد سَعيد رَمضان البوطي، ن: موسسة الرسالة – بيروت، عام النشر: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

٧- ومن التطبيق العملي لآيات الذكر أيضاً أنَّك لابد أن تشغل هذا اللسان الذي ستسأل عنه يوم القيامة بذكر الله ، فتستغله فيما يعود عليك بالنفع والخير وخاصة ذكر الله ، فتذكر الله وأنت ماش ، وأنت قائم ، وأنت جالس ،وأنت مضطجع ، وأنت في السيارة، وأنت في البيت،وأنت في وظيفتك، وبهذا يستغل المسلم وقته ، وينجو من أن يكون من المضيعين لأوقاتهم، فالأوقات المهدرة يمكن أن تحول إذا استغلت إلى ثروات هائلة لا يتخيلها الإنسان، والفائز يوم القيامة من حافظ على وقته في طاعة ربه.

٨- إن عبادة التفكر في مخلوقات الله، تعطي الإنسان مهارةً في استخدام العقل البشري ، فينمو ويتقدم ويعرف من الأسباب والاختراعات ما يؤمن له البقاء والمعيشة ؛فيزداد حبًّا وتعلقاً بالله[٢].

٩- إنَّ من أهمِّ فوائد الذكر أنَّه يكون عاصِماً للإنسان من المَعاصي،وصوناً له من الوقوع في حبائل الشيطان[٣]،وهذا من أهمِّ ما يحتاجه المسلم اليوم وخاصةً الشباب، سيما في هذا العصر الذي طغت فيه الماديات، وكثرت فيه الشهوات والشبهات، وأصبح فيه العفاف صعباً، والمعصية سهلةً ميسرةً، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(١) من روائع القرآن، لمحّمد سَعيد رَمضان البوطي (ص: ٢٢٤- ٢٢٥).

(٢) الطريق إلى الامتياز (ص: ٩٤)، لإبراهيم الفقي، ن: دار الراية للنشرو التوزيع، ط١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.

(٣) أصول الدعوة وطرقها (ص: ٩٩)، كود المادة: IDWH٢٠١٣، المرحلة: بكالوريوس، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، ن: جامعة المدينة العالمية.

١٠- إنَّ الاستمتاع بجمال الكون جزء أصيل مقصود في التربية الإسلامية لما له من آثار في النفس ، فمن فوائد النظرإلى السماء ، وآثاره النفسية أنه يذهب الخوف والوساوس والقلق ، ويذكر بالله عز وجل ، ويوقع في النفس تعظيم الله وإجلاله ،ويزيل الأفكار الرديئة من الذّهن(١).

١١- ينبغي للمسلم وخاصةً الداعية إلى الله- عز وجل-أن يكون حريصاً على ذكر الله- عز وجل-في كل أحواله ؛في السراء والضراء ،وفي الشدة والرخاء ، وفي السفر والحضر ، حتى يحصل على الثواب العظيم ، ويكون قدوة لغيره(٢)، بل إنَّ هذا سيكون عوناً له في دعوته إلى الله، ومثبتاً ومحفزاً له على هذه الدعوة.

١٢- إنَّ من منهج القرآن الكريم الحث على التأمل والنظر ، والترغيب في البحث والدراسة في الحياة والكون وقضايا الإنسان، وبهذا يتعرف على الحق والحقيقة ، ويكشف الباطل والزيف والضلال ، ويقف على دلائل قدرة الله- عز وجل-وإبداعه ليزداد إيمانًا وتصديقًا، ويعمل على الإصلاح والبناء القوي، ويرتقي بالمجتمع إلى مدارج الرقي والتقدم و الحضارة(٣).

---

(١) الآثار التربوية لدراسة اللغة العربية ، بتصرف (ص: ٤٧٥)،. لخالد بن حامد الحازمي، ن: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة: العدد (١٢١) ، السنة (٣٥) ١٤٢٤هـ.

(٢) فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري (١/ ٦٤٠)، لسعيد بن علي بن وهب القحطاني، ن: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط١، ١٤٢١هـ.

(٣) التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف (ص: ١٧٨- ١٧٩)، لعلي علي صبح، ن: المكتبة الأزهرية للتراث، ط١: ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢م.

الثاني: الجانب التربوي:

في هذه الآيات التي تضمنت هذا النموذج الرائع الذي وصف به الله صحابة رسول الله- ﷺ -: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾،درس تربوي عظيم ، إنَّه الذكر الذي يؤدي إلى العمل الملموس المشاهد في الواقع المعاش، ولأهمية هذا الدرس التربوي العملي المستفاد من الآيات ولتطبيقه على واقع الأمة اليوم، يمكن مناقشته من خلال الآتي:

١- لقد ربَّى رسول الله- ﷺ -أصحابه الكرام على ذكر الله تعالى،بالقدوة وبالموعظة وبالتوجيهات وبالمتابعة وبالرعاية والعناية،حتى أصبحوا نماذج فريدة وقدوات رائعة خلدها التاريخ وسجل سيرتها على صفحات من نور.

٢- إنَّ التربية الروحية الصحيحة ينبغي أن تهدف إلى تحويل الأفكار والمشاعر إلى عمل مشهود مثمر جاد في واقع الأرض ، فلا تكتفي بذكر اللسان والقلب، ولابالشعائر التعبدية فقط،إنما تسعى إلى تكوين تلك الشخصية النموذجية القرآنية، تسعى إلى إيجاد ذلك المسلم الذي كان يذكر الله في جاهد في سبيل الله بماله ونفسه ؛ لأنَّ الله الذي يذكره بلسانه وقلبه يأمره بذلك. وكان يذكر الله فيتحاكم إلى شريعته ؛ لأنَّ الله الذي يذكره يأمره بذلك ، وكان يذكر الله في طلب العلم،وكان يذكر الله في ضرب في فجاج الأرض يبتغي من رزق الله وفضله ، وكان يذكر الله في قوم بعمارة الأرض ، وكان يذكر الله في نشر الدعوة ، وكان يذكر الله في احتمل الأذى في سبيل الله ، ثم يظل – وهو يؤدي هذه الأوامر الربانية كلَّها – ذاكرًا لله ،

موصول القلب بالله ،فإنَّ حمل هذه الروحانية والتحرك بها دون أن تتناثر أو تغيض أعمق بكثير وأهم بكثير من حملها في حالة السكون[1].

٣- والخلوة للذكر لاشك أنَّها ضرورية بين الحين والحين ،ولقد كان رسول الله- ﷺ -يقوم الليل ليخلو إلى ربه ، وهو الموصول القلب لا يغفل عن ذكر الله لحظة ؛ لأنَّ ناشئة الليل –كما علمه ربه- ﴿ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾[2].

ولكنَّ العظمة الحقيقية هي أن يظل الإنسان في روحانيته ، كلَّها أو بعضها ، حين يقوم يمارس العمل في الواقع المعاش ، فلا يشغله العمل عن ذكر الله ولا يشغله الذكر عن العمل ،بل يكون ذكر الله هو المحفز على العمل وإلى التمكن منه على أعلى الآفاق!

هل رأيتهم – جيل الصحابة رضوان الله عليهم - وهم يقاتلون ؟ هل رأيتهم وهم يضربون في مناكب الأرض؟هل رأيتهم وهم يتزوجون وينسلون ؟هل رأيتهم وهم يقيمون السوق في المدينة ويروحون ويجيئون في التجارة. إلخ؟. هل تظن أحداً من أهل الدنيا المتفرغين لها كان أشد منهم وطأة أو أشد تمكناً في عمله منهم؟! ومع ذلك كانوا يحملون ذلك النور الصافي في قلوبهم ، إنَّ المسلم يحتاج إلى سعة نفسية مضاعفة ليحمل في نفسه طاقة الروحاني المتفرغ

(١) انظر: منهج التربية الإسلامية (٢/ ٥٣٩- ٥٤٠)، لمحمد بن قطب بن إبراهيم، ن: دار الشروق، ط١٦،معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصاي القمان لابنه (ص: ٤٦٩)، لعبد الرحمن محمد عبد المحسن الأنصاري، ن: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط٢٨، ١٤١٧هـ - ١٤١٨هـ.

(٢) سورة المزمل، آية (٦).

للروح،وطاقة الأرضي المتفرغ للأرض ،وفي ذلك فليتنافس المتنافسون. فإنها هي الذروة العليا من التربية على المنهج الإسلامي الأصيل(١).

٤- ولتطبيق هذا البرنامج العملي التربوي في واقع الحياة اليوم ، حيث والأمة وشبابها في أمس الحاجة إليه، لابدَّ من أن نتنبه للآتي:

أولاً: لابد أنَّ نربِّي أنفسنا وأبناءنا على ذلك تأسياً بالمعلم الأول نبينا محمد- ﷺ -، وإنَّه لجهد ولكنه الجهد المثمر ، الجهد الذي سيغيِّر واقع الأمة حقّاً كما غيَّرته تلك الفئة القليلة المؤمنة في زمن وجيز قياسي لا مثيل له في كل التاريخ البشري ، في قصره وسرعته وعظمة آثاره(٢).

ثانياً: لنعلم يقيناً أنَّ جاهلية اليوم لن تتركنا نربي أبناءنا على هذا النحو ؛ لأنَّ الجاهلية –في التاريخ كله- تكره النظافة النفسية و الروحية وتتضجر من وجود المتطهرين فيها فتقول: ﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾(٣)لأنَّ مجرد وجود النظافة – و لو في فرد واحد - يذكرهم بأنهم ملوثون، وهم لا يريدون أن يتذكروا ؛لأنهم يستمرئون الدنس الذي هم فيه ، ومن أجل ذلك يطاردون ما يذكرهم ، ويحاولون أن يمحوه من الوجود(٤).

(١) منهج التربية الإسلامية، لمحمد بن قطب بن إبراهيم (٢/ ٥٤٠- ٥٤١).

(٢) منهج التربية الإسلامية، لمحمد بن قطب بن إبراهيم (٢/ ٥٤٠- ٥٤١)، معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان لابنه، لعبد الرحمن الأنصاري (ص: ٤٦٩).

(٣) سورة الأعراف، آية (٨٢).

(٤) منهج التربية الإسلامية، لمحمد بن قطب بن إبراهيم (٢/ ٥٤٢)، بتصرف.

ثالثاً: إنَّ جاهلية اليوم تسعى إلى استلاب الفكر الإسلامي لشباب الأمة بما تقدمه من فظاعات ودناسات دائمة في الإذاعات والصحف والسينما والتليفزيون والنوادي والشوارع بل حتى داخل البيوت! ولا مخرج من ذلك كله إلا بتربية الشباب على التمسك بذكر الله وتعظيم الله والخوف منه، كما ربى محمد – صلى عليه وسلم- أصحابه - رضوان الله عليهم- فيثبتوا على دين الله ويعصمهم الله من كل معصية وشبهه[1].

الخاتمة

(١) انظر: منهج التربية الإسلامية، لمحمد بن قطب بن إبراهيم (٢/ ٥٤٢)، مصطلح فلسفة التربية في ضوء المنهج الإسلامي (دراسة نقدية) (ص: ٣٠٠)، لخالد بن حامد الحازمي، ن: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١٢٤، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، أثني عليه بما وفقني له من تمام هذا البحث، والصلاة والسلام على سيدنا محمد – ﷺ – وبعد فبتوفيق الله سبحانه توصلت من خلال هذا البحث إلى جملة من النتائج والتوصيات ألخصها في النقاط التالية:

١ – إنَّ هذه الآيات تلفت القلوب إلى المنهج الصحيح ، في التعامل مع الكون ، وفي التخاطب معه بلغته ، والتجاوب مع فطرته وحقيقته،والانطباع بإشاراته وإيحاءاته.

٣– إنَّ أفعال الله سبحانه وتعالى في السماوات والأرض تدل على عظمة خالقها؟! فعظم آثار الله سبحانه وتعالى وأفعاله تدل على عظمته سبحانه.

٤ – إنَّ فيتفرد الله بخلق السماوات والأرض ، وتصرفه في الليل والنهار تدل على وجوب إفراد الله بالعبادة وأن لا شريك معه غيره سبحانه وتعالى.

٥ – في تقديم الذكر على الفكر في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ ﴾ تنبيه بأنَّ العقل غير مستقل بإفادة الاحكام الحقة ما لم يستضيء بنور الذكر والهداية من الله سبحانه.

٦ – في هذه الآيات دليل على وجوب المحافظة على الصلاة، وأنَّ على المؤمن ألاَّي ضيعها بحال من الأحوال، فيصليها قياماً مع عدم العذر ،وقعوداً وعلى جنوبهم مع العذر، وهذا الاستنباط يبنى على أساس أن معنى الذكر في الآية يعني: الصلاة.

٧– إنَّ مجرد التفكر في ماقصه الله في هذه الآيات يكفي العاقل ، ويوصله إلى الإيمان الذي لا تزلزله الشبه ، ولاتدفعه التشكيكات.

٨– إنَّ جملة ما يقرره القرآن عن الكون أنَّه خادم أمين مسخّر للإنسان ، وأنَّ على الإنسان أن يستفيد منه ويستخدمه لصالحه في المعاش الدنيوي و المعاد الأخروي.

٩- إنَّ من أهمِّ فوائد الذكر أنَّه يكون عاصِماً للإنسان من المَعاصي،وصوناً له من الوقوع في حبائل الشيطان.

١٠- إنَّ التربية الروحية الصحيحة ينبغي أن تهدف إلى تحويل الأفكار والمشاعر إلى عمل مشهود مثمر جاد في واقع الأرض ، فلا تكتفي بذكر اللسان والقلب ، ول ابالشعائر التعبدية فقط ، إنما تسعى إلى تكوين تلك الشخصية النموذجية القرآنية.